فأحضر الناصر من الكرك وتسلطن المرة الثانية، وله يومئذٍ أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، واستقر في نيابة السلطنة سلار المتقدم ذكره، وبيبرس المتقدم أيضاً، فلم يكن للناصر معهما كلام. ولما كان في رمضان سنة (٧٠٨) أظهر الناصر أنه يريد الحجّ فتوجه إلى الكَرْك وأقام به وطرد نائب الكَرْك إلى مصر، وأعرض عن المملكة لاستبداد سلار وبيبرس دونه بالأمور، وكتب إلى الأمراء بمصر يستعفيهم من السلطنة، ويسألهم أن يتركوا له الكَرْك فوافقوه على ذلك، واتفق أنه يوم دخل الكرك انكسر الجسر فسلم هو وبعض خواصه، وسقط نحو الخمسين من أصحابه فمات منهم أربعة وخرج من بقي مصاباً. وأقام بالكَرْك يدبر أمورها ويحكم بين من يتحاكم إليه، وتسلطن مكانه بيبرس حسبما تقدم في ثالث وعشرين من شوّال من تلك السنة، واستمر إلى رجب سنة (٧٠٩) فخرج جماعة من أمراء مصر إلى الكَرْك وحملوا الناصر إلى دمشق، فتلاحق به أكثر الأمراء ونزل بالقصر، ثم توارد عليه نواب البلاد، فقصد مصر في رمضان، ففرّ بيبرس ولم يفرّ سلار بل أقام، وخرج للقاء الناصر وأظهر الطاعة، فوصل الناصر إلى القلعة واستقرّ في مملكته، وهي السلطنة الثالثة، وذلك في يوم عبد الفطر من تلك السنة. ولما استقرّ قدمه قبض على أكثر الأمراء، ولم يبق له منازع، وفتحت في أيامه بلاد كثيرة، واشترى المماليك فبالغ في ذلك حتى اشترى واحداً بنحو أربعة آلاف دينار بل أزيد كما قال ابن حَجَر. ولم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه براً وبحراً مع طول المدة. وكان مطاعاً مهيباً عارفاً بالأمور يعظم أهل العلم ولا يقرر في المناصب الشرعية إلَّا من يكون أهلاً لها، ويتحرّى لذلك، ويبحث عنه ويبالغ. وحجّ بعد استقراره في السلطنة ثلاث حجّات. وكان عظيم المَكْر طويل الصبر على ما يكره، إذا حاول أمراً لا يسرع فيه بل يحتاط غاية الاحتياط. وكانت (وفاته) تاسع عشر ذي الحجّة سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة، وتسلطن من أولاده ثمانية أنفس، وهذا من أعجب ما يُحكى.

(٤٩٦)

(الإمام المؤيد باللَّه مُحمَّد بن القَاسِم بن مُحمَّد)[١]

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه الحَسَن. ولد سنة ٩٩٠ تسعين وتسعمائة في رمضان منها، وقيل في شعبان، وأخذ العلم عن علماء اليمن المشهورين بذاك الزمن، ومنهم والده الإمام. وبرع في عدة علوم، ودرّس وأفتى، واشتهر فضله وزهده وورعه وعفته وحسن تدبيره. ولما مات والده في التاريخ المتقدم أجمع العلماء عليه وبايعوه، وذلك في سنة (١٠٢٩). ثم كان من التأييد والنصر خروج أخيه سيف الإسلام الحَسَن

(١) ترجمته في: الأعلام: ٧/ ٦.

ابن الإمام من سجن الأتراك في سنة (١٠٣٠)، وكانت مدة المصالحة التي كانت بين والده وبين الأتراك باقية لأنهم كاتبوا صاحب الترجمة بتقرير الصلح إلى أن انتهت المدة المعلومة فأجابهم. ولما كان في شهر محرم سنة (١٠٣٦) أرسل بجيش إلى الحيمة ورئيس ذلك الجيش أخوه العلَّامة الحُسين ابن الإمام، وبثّ سراياه وكتبه إلى الأقطار اليمنية، وتكاثرت جيوشه حتى حصلت فتوحات في مدة يسيرة كفتح بلاد المغارب وريمة وعتمة وأصاب وحفاش وملحان وجبل تيس وبلاد خولان، وكان إذ ذاك الحسن ابن الإمام في جهات صعدة مثاغراً لمن هنالك من الأتراك معاضداً لصنوه أحمد ابن الإمام، فاستأذن أخاه الإمام صاحب الترجمة في الخروج من صعدة والوصول إلى محاربة الأتراك بالمدائن اليمنية، فأذن له فعظم الأمر على الأتراك لعلمهم بشجاعته ورياسته وطاعة الناس له، فوصل إلى نواحي صنعاء وضايق من بها من الأتراك، ووقعت بينهم وبينه ملاحم عظيمة كانت اليد فيها للحسن ثم وصل إليه أخوه الحسين بجيوشه بأمر صاحب الترجمة وفتحت جيوشهما في أثناء هذه المدة حصن كوكبان وبلاده وثلا. ثم توجه الحسن بجيوشه إلى اليمن الأسفل، واستقر الحسين وأحمد أبناء الإمام محاصرين لصنعاء ففتح الحسن مدينة أب. وبالجملة فما زال الحسن والحسين يقودان الجيوش العظيمة على من بمدائن اليمن من الأتراك بأمر أخيهما صاحب الترجمة حتى أخرجا جميع من بها من جيوش الأتراك إلّا من رغب إلى الجلوس وأطاع الإمام وصار من أجناده. فصفت اليمن من صعدة إلى عدن، واستقل صاحب الترجمة بها جميعها بمناصرة أخويه المذكورين له وبذلهما العناية في ذلك بعد ملاحم عظيمة ومعارك شديدة اشتملت عليها كتب السير الخاصة بصاحب الترجمة وأبيه وإخوته كسيرة الشريفي وسيرة الجرموزي ونحوهما. ولم تجتمع الأقطار اليمنية بأسرها من دون معارض ولا منازع لأحد من الأئمة قبل صاحب الترجمة. و(مات) في يوم الخميس سابع وعشرين رجب سنة ١٠٥٤ أربع وخمسين وألف، وقُبر بشهارة بالقرب من والده. وكان مشهوراً بالعدل والمشي على مَنهج الشرع والوقوف عند حدوده وحمل الناس عليه مع لين الجانب وحسن الأخلاق والتواضع والإحسان إلى أهل العلم والميل إلى الفقراء ووضع بيوت الأموال في مواضعها.

(٤٩٧)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن إبراهيم بن مُحمَّد المِصْري الأصل ثم العَدَني الشافعي المعروف بابن الصَّارِم)[1]

وربما يقال له النقايقي حرفة لأبيه القماط. ولد بمصر سابع المحرم سنة ٨٨٠

(١) ترجمته في: إيضاح المكنون: ٢/ ٥٥١؛ معجم المؤلفين: ١١/ ١٧٩.